

أثر الجوّاري والمحضيات في صناعة القرار السياسي في الدولة الإسلامية

The impact of affairs and events on political decision-making in the Islamic State

جمال البوص^{1*} ، محمد الأمين بلغيث²

¹ جامعة المسيلة الجزائر djamal.elbous@univ-msila.dz

² جامعة الجزائر 1 Belghit56@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/03/23

تاريخ الإستلام: 2025 / 02 / 15

ملخص: كانت الجوّاري و القيان و عبيد الخدمة ضمن النسيج الاجتماعي للدولة لكن في فترات قوة الخلافة أين يحكمها رجال مؤسسون أقوياء في كل مراحل الدول التي تعاقبت على مدار التاريخ الاسلامي لم يكن لهم أي تأثير يذكر على صناعة القرار السياسي لكن في فترات الرخاء والازدهار التي تشهدها الدولة الاسلامية زادا عددهم داخل قصور الخلفاء حتى بلغ أربعة عشرة ألف جارية و غلام في خلافة هارون الرشيد و تجاوزت لجوّاري و المحضيات و أمهات الأولاد الدور الاجتماعي والترفيهي للخليفة و القيام على خدمته وخدمة أهل بيته بل وصل الأمر بالميزات من هن اللواتي يدعين بالمحضيات ثم أمهات أولاد على التدخل بشكل مباشر في شؤون الدولة والتأثير على قرارات الخليفة في تعيين قادة الدولة وعزلهم بل وصل بهم الأمر إلى فرض أبناءهم ولاة عهد الخلفاء ثم التخلص من الخليفة بالاغتيال مما يدخل الدولة في اتون صراعات مهلكة بين الأجنحة المشكلة للدولة.

الكلمات المفتاحية: أم ولد، جارية، محضية، خلافة، ولاية عهد، قرار سياسي، الحكم، الدولة

Abstract. The concubines, singers, and service slaves were part of the social fabric of the Islamic state. However, during periods of the caliphate's strength, when it was ruled by strong foundational men at various stages of the states that succeeded each other throughout Islamic history, they had little to no influence on political decision-making. In contrast, during periods of prosperity and flourishing that the Islamic state witnessed, their numbers within the caliphs' palaces increased, reaching fourteen thousand concubines and boys during the caliphate of Harun al-Rashid. The concubines, the privileged, and the mothers of children transcended their social and recreational roles in serving the caliph and his household. In fact, it reached a point where those who were called the "privileged" and later the "mothers of children" intervened directly in state affairs, influencing the caliph's decisions in appointing and dismissing state leaders. They even went so far as to impose their sons as heirs to the caliphs and to eliminate the caliph through assassination, which plunged the state into devastating conflicts among the factions forming the state.

ا. مقدمة:

يعتبر اقتناء الجوّاري وجلهين ودفع أثمان باهظة وتخصيص رجال مكلفون بالبحث علمين في مختلف أسواق النخاسة من مظاهر الترف في قصور الخلفاء خاصة الجوّاري اللواتي يجدن العزف والغناء للترويح على الخليفة بعد عناء يوم كامل في إدارة الحكم وشؤون الدولة وقد نشأ بينهما تنافس شديد للتقرب من الخليفة و التمكن من نيل حضوته وتفضيلها علمين بتفنها في التغنج والدلال فيقع في حبها والوله بها بل التيمم بها فلا يرفض لها طلبا أبدا وقد تتطور مكانتها لدى الخليفة فتصبح كلمتها مسموعة لدى رجال الدولة وقادتها خاصة إذا انجبت له ولدا ذكرا يكون وريثه في حكم الدولة فيخلع عليها لقب أم ولد ويصبح لها تأثير واضح على قراراته المتعلقة بالدولة فما مظاهر تأثير الجوّاري والمحاضيات على صناعة القرار السياسي في الدولة الإسلامية؟ وهل كان تأثيرهن على مصير الدولة الإسلامية إيجابيا أو سلبيا؟ وهل تم استغلالهن من طرف بعض الطامحين للوصول للسلطة؟

أولا: ضبط المجال المفاهيمي:

1.1- الجارية:

جاء في لسان العرب لابن منظور ان الجارية هي الفتية من النساء وتطلق العرب على الطفلة الصغيرة جارية و الفتاة الوصيفة إذا بلغت سن الخدمة (موسى، 1929) والجارية لأنها تسرع في قضاء الحوائج (الموسي، 2000 ج2 ص 425) وسميت جارية لأنها تستجري في الخدمة (الزمخشري، 1998 ج1 ص 136) قال الشاعر عامر بن الجون الطائي:

وجارية من بنات الملوك قعقعت بالخيّل خلخالها

ككرفئة الغيث، ذات الصبير تأتي السحاب وتاتالها

وقالت هند بنت أبي سفيان وهي تراقص ابنها عبد الله بن الحرث المعروف ببه

لأنكحن ببه جارية خدبة

مكرمة محبة تجب أهل الكعبة (منظور، 1993)

ومعنى جارية مستخدم عند العرب على الحرة والامة الضغيرة والبالغ

1.2- أم ولد:

إذا أنجب ولدت لسيدها ولد مولودا تلقب بأم ولد و لا يجوز لسيدها بيعها (نكري، 2000)

1.3- المحضية:

وجمعها حضايا وهي الجارية المتميزة إما في الجمال أو فن الغناء أو راحة العقل حسن التدبير فتنال الحضوة والقرب لدى سيدها ومحبه (السيوطي، 2014 ص 6) وتترقى الجارية من مرتبة وصيفة إلى محضية ثم إلى أم ولد وإذا وصلت إلى هذه المرتبة يعتقها سيدها تنال حريتها فتجري عليها أحكام الحرائر من النساء.

2- مصدر الجواري:

وكان نشاط بيع الجواري و العبيد والرقيق نشاطا تجاريا رائجا تجلب الجواري من بلاد السلاف و الجرمان ويعرفن بالصقليبات ومن أوروبا عبر الأندلس ومن الهند وبلاد فارس وبلاد الحبشة و النوبة و البربريات من بلاد المغرب و البجاويات وغيرها من الأجناس وكانت السوق التي يتم فيها بيع العبيد و الجواري تسمى أسواق النخاسة وكانت لها محلات معروفة مثل سوق بغداد (النور، 1947 ص ص 23-26) ومن يمارس الإتجار بالجواري والعبيد بالنخاس و يشترط في الأمانة وإظهار عيوب السلعة استخدامها ويخضع لمراقبة المحتسب (القرشي، 1976 ص 238)

ثانيا: موقف الإسلام من عبودية النساء:

كانت العبودية والاسترقاق ضمن النظام الاجتماعي للإنسانية جمعاء بمختلف شعوبها وثقافاتها وقد تحدث القرآن عن قصة وقوع نبي الله سيدنا يوسف في العبودية حين اشتراه مصر الفرعونية فقال الله تعالى: ﴿وَشَرَّوهَ بِشَمْسٍ بِحَبْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [سورة يوسف: 20] لم يلغى الإسلام هذا النظام الاجتماعي ولكن نظمه وهذبه ونزع عنه مظاهر امتنان الكرامة الإنسانية وجعل التقوى مقياس التفاضل بين الناس فقال المولى عز وجل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا مُمْسِكَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْبَدْتُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيِّنْ أَيْلَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 221] وجاء في الحديث النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ: ﴿ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلَاهُ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّيَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيَتَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمِهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ﴾ كان لنظام العبودية موارد عديدة مثل خطف الأطفال و النساء من طرف قطاع الطرق واللصوص ثم استعبادهم إغارة القبائل بعضها على بعض من أجل الحصول على العبيد فمنع الإسلام استرقاق الأحرار والحرائر وجعله من كبائر الإثم فقال رسول الله ﷺ: ﴿ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ﴾ (البخاري، 2001) وأغلق كل مصادر الاسترقاق عدا مصدر السبي و السبي هو اخذ من وجد في أرض المعركة من النساء و الأطفال والأسرى بعد هزيمة المسلمين للعدو وقد وقعت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني قريضة بعد معركة بحصن بني قريضة فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها بعد إسلامها . (البخاري، 2001، ج1، ص 83)

قضى الاسلام على نظام العبودية عموما تدريجيا بجعل الكفارات من الذنوب والمعاصي بعثق العبيد و الرقيق لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 92] نلاحظ انه في آية واحدة تكررت عبارة فتحرير رقبة مرتين ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 3] وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تحض المؤمنين على تحرير العبيد وعقوبتهم فتهذب هذا النظام ثم تلاشى تدريجيا لأن تغيير النظم الاجتماعية يتطلب تغيير الذهنيات وليس القرارات و

جعل الاسلام للجوّاري من النساء أحكام خاصة في حالة الزنى أو العدة أو الزواج أو الطلاق فمهر الجارية هو ثمنها وعقوبتها في حالة الزنى نصف عقوبة الحرة وعدتها نصف عدة الحرة (انس، 1994) لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنَائِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْنِفَاحٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء: 25] وعدة طلاقها ثلاثة أشهر (انس، 1994 ج2، ص8)

ثالثاً: أثر الجوّاري في صناعة القرار السياسي في صدر الإسلام:

كان المجتمع العربي في الجاهلية يستخدم الجوّاري والعبيد في الخدمة وكانوا يقتنون القيان اللواتي يجدن العزف والغناء تائراً بالثقافات الأخرى كالفرس والروم وحفل الشعر الجاهلي وتاريخ العرب في الجاهلية بأخبار القيان ولم يكن بيت من بيوت أشرف العرب يخلو من هن لكن لم يكن لهن أي تأثير في حياة القبيلة أو على شيخ القبيلة فقد كان دورهن يقتصر على المرح والترويح على زعيم القبيلة (الحنفي، 1951 ص22)

أما في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده إن كان لهم من الجوّاري والسريات غير أن تأثيرهن على قرارات الدولة منعدم.

ولم يكن في عهد الخلافة الأموية أي دور للجوّاري في صناعة القرار السياسي لأن الأمويون كانوا لا يعقدون الخلافة لمن كانت أمه أم ولد لاعتقادهم أن ملكهم سيزول على يد خليفة تكون أمه جارية (ربه، 1983 ج7 ص143) لذا لم يكن للجوّاري أي دور سياسي أو تأثير في صناعة القرار في البيت الأموي ولم يذكر التاريخ قبولهم تدخل النساء في شؤون الحكم عموماً يستثنى من هذه القاعدة يزيد بن عبد الملك الذي أحب جاريته حبابة فلما توفت حزن عليها حزناً شديداً حتى مات بعدها في مدينة حوران بالشام سنة شعبان سنة 105هـ/جانفي 727م (الدينوري، 1992 ص363) وكان هذه الجارية تتدخل حتى في تعيين الولاة حيث تدخلت عند يزيد لتعيين عمر بن هبيرة على العراقيين الكوفة والبصرة معا (الدينوري، 1992، ص408).

رابعاً: أثر الجوّاري في صناعة القرار السياسي في عهد الخلافة العباسية:

الدولة العباسية التي ورثت عن الدولة الأموية إمبراطورية مترامية الأطراف تمتد من غفريقية غرباً حتى بلاد السند شرقاً حكمت مدة طويلة ناهزت الخمسة قرون من خلافة أبو العباس السفاح حاي خلافة المستعصم من 132هـ-749م حتى 656هـ-1258م تعاقب على حكمها ستة وثلاثون خليفة وبسبب مساهمة الفرس في الدعوة العباسية وإسقاط الدولة الأموية سمح للخلفاء لهم بالمشاركة في الحكم والفرس هم من فبرزت منهم عائلات متنفذة في مفاصل الدولة فتقربوا من الخلفاء العباسيين بالجوّاري الحسان والغلمان والخدم الذين دخلوا القصر منذ خلافة المهدي فيما عرفه ابن خلدون بالاصطناع (ابن خلدون، 1988 ص169).

لم يكن للجوّاري دور يذكر في عهد الخلفاء الأوائل من أبي العباس المؤسس حتى خلافة أبو جعفر المنصور وبدأ بروز دورهن منذ خلافة المهدي حيث كلف بجاريته الخيزران حتى صارت محضية فلما أنجبت له المهدي سنة 159هـ/775م فصارت أم ولد فأعتقها وتزوجها زواج الحرائر (الطبري، 1967 ج8 ص121)

قد تمكنت الخيزران من سلب زوجة المهدي الحرة العربية المكية ربيعة ابنة العباس السفاح من كل صلاحياتها وتأثيرها لدرجة أنها فرضت أولادها ليكونوا ولاية العهد وحرمت أولاد المهدي من ربيعة من هذا الحق بسبب تمكنها من قلب المهدي (الجبوري، 2010) لكن نفوذها في عهد زوجها لم يكن يتعدى الأعمال الخيرية فلما تولى أبنا الهادي الحكم سنة 166 صارت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الإمبراطورية المترامية الأطراف وتدخلت بشكل سافر في تعيين موظفي الدولة وصار الناس يتوافدون عليها لقضاء حوائجهم فانزعج الهادي من هذا الأمر وقرر أن يضع له حد فقال لها مكانك تستوعبي كلامي والله، وإلا فأنا نفي من قرابتي من رسول الله ﷺ لأن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خاصتي أو خدمني لأضربن عنقه، و لأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم! أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك! إياك ثم إياك، ما فتحت بابك لملي أو لذمي "(الطبري، 1967 ج8، ص204) وقد حاول موسى الهادي قتل أمه الخيزران مرات عديدة كل محاولاته باءت بالفشل لانزعاجه الشديد من تدخلاتها السافرة في شؤون الحكم إلى أن تمكنت من قتله مع جواربها في مؤامرة دبرها هارون الرشيد و الفضل بن الربيع سنة 177هـ/793م.

أما هارون الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي كان مولعا بالمرح واقتناء الجواري فبلغ عدد جواري قصره أربعة عشرة ألف جارية فقد تعلق قلبه تعلقا شديدا بالقهرماننة ذات الخال وهي جارية من أصول فارسية تعلمت أصول الغناء على يد أبي إسحاق الموصللي اشتراها هارون الرشيد منه بمبلغ سبعون ألف درهم وهو مبلغ باهض بالنظر لأثمان الجواري في ذلك الوقت بسبب جمالها الفتان فلم يكن الرشيد يرفض لها طلب أيذا حتى أنها تدخلت في تعيين حموية الوصيف على ولاية فارس مدة سبع سنوات وأوصى ابنه الأمين أن يتم له مدة ولايته. (سولاف فضل الله حسن، 2013 ص81)

و في العهد الثاني للخلافة العباسية دخل العنصر التركي في التركيب الاجتماعي للدولة على يد الخليفة العباسي المعتصم بالله فشكل منه الجند و اسند لهم الوظائف لكن الخليفة المعتصم يشهد له أن كان ذا شخصية قوية يصعب التحكم فيها لا من قبل أزواجه الحرات ولا من قبل جواربه على العكس تماما من شخصية الواثق بن المتوكل الذي كان ضعيفا أمام جواربه خاصة الجارية فريدة الصغرى التركية فلم يكن يرفض لها طلب فصارت من ذوي النفوذ في الدولة (سولاف فيض الله الحسن، 2013 ص96)

وفي خلافة المعتز بالله برزت أمه قبيصة المتوكل وقد حملت من اسمها كل النصيب فقد كانت سيئة الأخلاق شديدة البخل سماها سيدها قبيصة لأنها كانت شديدة الجمال على عادة العرب قلب المسميات ولم يكن الخليفة المعتز بالله يملك القدرة على معارضتها في شيء وبسبب بخلها الشديد خلع ابنها المعتز سنة 255 هـ حيث طالبها بالمال الذي تكنزه ليتمكن من دفع رواتب الجند المغاربة فيقتلوا وصيف التركي فامتنعت فلما رأى الجند خزائن الخليفة فارغة تخلوا عنه فأجبره وصيف التركي على خلع نفسه تحت التعذيب و الجلد واللطم فخلع نفسه وبويع مكانه محمد بن الواثق ثم تمكن وصيف من أخذ أموال قبيصة البالغة مليوني دينار وابنها كان في حاجة إلى خمسمائة ألف دينار ليقتضي على خصومه فكانت تدعوا على وصيف التركي قائلة "لهم أخز صالح بن وصيف كما هتك سترى وقتل ولدي وبدد شملي وأخذ مالي وغزني عن بلدي وركب الفاحشة مني". (مسكويه، 2000 ج4 ص392)

وبلغ تدخل الجواري في الحكم مبلغه في عهد المقتدر العباسي حيث كانت أمه شغب جارية لأبيه وجاريتها القهرماننة و تدعى ثمل تنصبان الوزراء والقضاة وقادة الدولة وخلعت على نفسها لقب السيدة فتعاقب على الوزارة أكثر من تسعة عشرة وزيرا وكان أطول الوزراء استوزارا الوزير الحسن بن الفرات 296هـ-299هـ/908-912م الذي كان مقربا جدا من

والدة الخليفة لكونه ساهم في إخماد تمرد عبد الله المعتز العباسي ضد الخليفة المقتدر (جواد، 1950 ص 88) ثم عزلته وصادرت أمواله بتهمة موالاة القرامطة ثم عينت علي بن عيسى ثم عزلته بل بلغت الوقاحة بالقهرمانة ثم أن جلست مجلس القضاء وأصدرت الأحكام بأمر من سيدتها شغب مما جعل العامة يغضبون على الخليفة المقتدر الذي انشغل عن تدبير الحكم بمعاقرة الخمر وملاعبة الجواري قتل المقتدر من طرف خادمه مؤنس بعد معركة ضارية جرت بينهما في 28 شوال 320هـ/31 أكتوبر 932م المقتدر قال عنه الطبري وكان معاصرا لدولته: "ولولا التحكم عليه في كثير من الأمور لكان الناس معه في عيش رغد، ولكن أمه وحاشيته كانوا يفسدون كثيرا من أمره". (الطبري، 1967 ج 7، ص 67)

وفي الوقت الذي كان فيه خطر التتار يزحف على تخوم الدولة العباسية ويقضم أطرافها جزءا تلو جزء كان الخليفة العباسي يلهو مع جواريه حتى قتلت احدهن وهي ترقص بين يده بسهم غرب دخل من شرفة قصره (سلمان بن حمد العودة 2001 ص 43) ومع ذلك لم يحفل بالأمر ولم ينهض للدفاع عن مملكة آبائه وأجداده حتى سقطت بغداد ووقف بين يدي هولاء كو أخرج الكنوز والاموال التي يفترض إنفاقها على الجند والسلاح قدمها لهولاء كو خان في صناديق كبيرة فلم يشفع له ذلك فقتله سنة 656هـ/1258 و اخذ جواريه وسبى نسائه وسقطت بغداد وبذلك طوي سجل تاريخ الدولة العباسية (كثير، 1986 ج 13 ص 200)

خامسا: أثر الجواري والمحضيات في صناعة القرار السياسي في الدولة الأموية في الأندلس

تأسست الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمان بن معاوية صقر قریش الذي عرف فيما بعد بالداخل هذا الرجل الطموح الذي أعاد ملك آبائه الضائع في المشرق وأقام دولة له في أقاصي الغرب فلم يكن له وقت للإصغاء لحديث الجواري ومؤامرات القصور لذا لم يكن لهن أي تأثير يذكر في صناعة القرار السياسي في الدولة الأموية بالأندلس طوال عهد الأمارة 138هـ-316هـ/755م-928م ومنذ استقلال الأندلس عن المشرق روحيا بإعلان قيام الخلافة سنة 316هـ/928م من قبل عبد الرحمان الناصر (الحميدي، 1966 ص 12) ودخول الأندلس عهد الازدهار حد البذخ بدا تأثير الجواري في صناعة القرار السياسي في الأندلس الأموية في البروز منذ خلافة عبد الرحمان الأوسط الذي كلف بجارية له تدعى طروب أغدق عليها الأموال ثم اعتقها وتزوجها وصارت أم ولد لابنه عبد الله وكان لا يرد لها طلبا أدبا حتى تدخلها في شؤون الدولة والحكم فكانت تعين وتعزل القادة وصل بها الأمر أن تمكنت من إقناع الخليفة بتعيين ولدها عبد الله وليا للعهد دون عن غيره من إخوته من أبناء الحرات لكن حاشية عبد الرحمان كانت معترضة على هذا القرار فلما توفي الخليفة عبد الرحمان الأوسط كان عبد الله في مجلس لهو فلم يخبروه بوفاة الخليفة والده وتمت مبايعة أخيه محمد وهذا يبين مدى تأثير هذه الجارية على قرارات الخليفة المتعلقة بتسيير شؤون الدولة (المغربي، 1955 ج 1 ص 52)

أما المستنصر بالله الذي تعلق قلبه كثيرا بجاريته صبح البشكنسية ولكن هوى صبح كان متعلق بفتى طموح جدا هو محمد بن أبي عامر ذلك الفتى الذي قدم قرطبة طالبا للعلم والذي أحبته من طرف واحد ربما لكون المستنصر قد بلغ سنا متقدمة ولم يفلت هذا الفتى الطموح الفرصة واستغلها أيما استغلال فاستحكم على قلبها بالهدايا والتحف الجميلة ولعب بعقلها بخمر الكلام المعسول فسلمت له قلبها وكيانها ومكنته من الترقى بشكل سريع في وظائف الدولة من قاضي الحسبة في من قاضي إشبيلية إلى رئيس ديوان السكة وخطة المواث ثم رئيس شرطة قرطبة (المراكشي، 1983 ج 2 ص 252-253) وبحسن تدبيره وتأثير من صبح البشكنسية على الخليفة المستنصر أصبح ابن أبي عامر الرجل الأول في البلاد بعد ان تخلص من كل منافس له بدءا بالفتيان الصقالبة فائق وجوزر ثم عثمان بن جعفر المصحفي وقائد الجيش غالب الفهري وبعد تولي هشام المؤيد الخلافة في 04 صفر سنة 366هـ/01 أكتوبر 976م وكان فتى غرا مدلل أمه لم يكن له علم بشؤون تدبير الحكم ولا بالسياسة ولا بمؤامراتها فتولى محمد بن أبي عامر الحجابة في عهده وسلب الخليفة هشام كل سلطانه الزمني ولم يبق له غير رسوم الخلافة ووصل به الأمر أن حجر عليه في قصره في قرطبة

(المراكشي، 1983 ج2 ص 253-260) وإمعانا في الحجر عليه انشأ مدينة جديدة سماها الزاهرة ونقل لها كل دواوين الدولة وخططها 370هـ/980م (المراكشي، 1983 ج2 ص 272-276) ولما إستفاقت صبح جارية المستنصر من سكرة حبها بابن أي عامر المنصور وحمق النساء الذي دخلت فيه ورأت بأم عينها ما فعله ابن أبي عامر بولدها هشام وسلبه سلطانه وملك آبائه حاولت إنقاذ ما يمكن إنقاذه لكن الوقت لم يكن في صالحها ولات حين مناص لأن ابن أبي عامر تمكن من حكم الدولة تمكنا شديدا وباءت محاولتها الانقلاب عليه بالفشل لأنه سرعان ما اكتشف مؤامرتها بفضل العيون والجواسيس الذين زرعه ابن أبي عامر حول قصر الخلافة بقرطبة فسجنها هي وابنها في هذا القصر وزاد من حدة الحجر على الخليفة بمعاقبة كل من يتواصل معه أو يتقرب منه من موظفي الدولة أو حتى من العاملة وتركه للملاعبة الجوّاري واقتناء التحف. (المقري، 1997 ج3 ص92) ولم يسلم حكم المنصور مؤسس الدولة العامرية في الأندلس أيضا من تدخل الجوّاري في إدارة شؤون الدولة فقد كانت له سرية تدعى الرقماء بسبب تأثيرها على المنصور جعلت ابنها عبد الملك المظفر وليا للعهد أبيه في دولته مما اغضب أخوه عبد الرحمان شنجل المعروف بالمظفر الأصغر فقتل أخوه المظفر الكبير فتسببت الرقماء في ثورة محمد بن عبد الجبار ضد شنجل المظفر الأصغر لاعتقادها انه من قتل ابنها (حامد، 2019 ص60)

ولم يكن وضع الجوّاري في الأندلس عصر الطوائف فالمعتمد بن عباد كان شديد الحب لجاريته اعتماد الرُميكية فكان يكتب فيها الأشعار وطرز أسمها على إزاره فكان يقول:

حب اعتماد في الجوانح ساكن لا القلب ضاق به ولا هو راحل

فصارت هذه الجارية سيدة قصر المعتمد في إشبيلية الأمرة الناهية فيه فلا يرد لها المعتمد أي طلب ولو تعلق الأمر بشؤون الحكم وإدارة الدولة ولم تكن الجوّاري تحفل بمصير الدولة ولا مستقبلها بقدر اهتمامهم بمصالحهن الخاصة ومصالح أبنائهن بل كن في كثير من الأوقات سببا مباشرا في إثارة الفتن والصراعات داخل الدولة خاصة الصراع بين الأسياد على الجوّاري النصرانيات وانفق المعتمد بن عباد على جاريته اعتماد أموالا طائلة انتهى بها الأمر أسيرة مع وصيفاتها في منطقة أغمات بالمغرب الأقصى وبسبب الجوّاري والقيان ركن أهل الأندلس للدعة والمرح و الزينة في المأكّل والمشرب والمجالس الماجنة والشواذ من الجوّاري والقيان وغطسوا في فعل المنكرات ونسوا حماية بلادهم من الأخطار المحدقة بها فضيعوا فردوسهم الجميل وتحولت حياتهم إلى شقاء وجحيم (عباد، 2000 ص11) (جمعة، 2001 ص 31-38)

II. نتائج الدراسة:

- 01- الجوّاري و المحضيات فئة ضمن النسيج الاجتماعي للدولة الإسلامية
- 02- للجوّاري في الإسلام أحكام فقهية خاصة تختلف عن الحرات
- 03- لم يكن للجوّاري والمحضيات أي تأثير على القرار السياسي في العهد الراشدي وعهد تأسيس الدول.
- 04- للجوّاري والمحضيات وأمهات الأولاد حضور قوي في قصور الخلفاء وهو من مظاهر الترف
- 05- تنفق أموال طائلة من خزينة الدولة لاقتناء أجمل الجوّاري والغلمان للخدمة
- 06- يقرب الخلفاء إحدى الجوّاري فتصبح محضية وتسيطر على قلب الخليفة
- 07- تتدخل المحضية في شؤون الحكم والدولة وتزداد مكانتها ونفوذا عندما تصبح أم ولد
- 08- تسعى أمهات الأولاد بكل ما تسمح به قدراتهم على فرض أبنائهن أولياء للعهد ثم خلفاء
- 09- بسبب ميولهن العاطفية قد تسبب الجوّاري في إضعاف شخصية أبنائهن الخلفاء كما حصل مع صبح البشكنسية جارية الخليفة المستنصر

- 10- قد تتسبب الجوّاري في صراع دموي بين الخلفاء و الأسياد وقد يتسبب في إشعال ثورات
- 11- لقد كان من بين أسباب سقوط الأندلس انتشار مظاهر الترف واقتناء الجوّاري و القانيات في شيوع المنكرات .

III. خاتمة:

لقد كان للجوّاري و المحضيات وأمهات الأولاد تأثير كبير على صناعة القرار السياسي في الدولة الإسلامية على وجه الخصوص فيما يتعلق بمسألة ولاية العهد ويكون هذا التأثير قويا في فترات الرخاء والازدهار أين يميل الخلفاء للدعة والتراخي بينما الخلفاء المؤسسون ينهضون بأمر الدولة ويتصدون لكل القلاقل التي قد تزعزع استقرار الدولة فلم يكن للجوّاري أي تأثير يذكر على قراراتهم السياسية وكان لتدخل الجوّاري والنساء في صناعة القرار السياسي تداعيات كبيرة على مستقبل الدولة يتجلى ذلك بكل وضوح في الدولة العباسية والدولة الأموية في الأندلس حيث كان للجوّاري دور كبير في سقوطهما

المراجع

- 01- ابن سعيد المغربي. (1955). المغرب في حلى المغرب (ط 3). ((تج) شوقي ضيف، المترجمون) القاهرة: دار المعارف.
- 02- ابن سيده المرسى. (2000). المحكم وامحيط الأعظم (ط 1). ((تج) عبد الحميد هنداي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 03- ابن عبد ربه. (1983). العقد الفريد (ط 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- 04- ابن عذارى المراكشي. (1983). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ط 3). ((تج) ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، المترجمون) بيروت: دار الثقافة.
- 05- ابن قتيبة الدينوري. (1992). المعارف (ط 2). ((تج) ثروة عكاشة، المترجمون) القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 06- ابن منظور. (1993). لسان العرب (ط 3). بيروت، لبنان: دار صادر.
- 07- أبو جعفر الطبري. (1967). تاريخ الرسل والملوك. بيروت: دار التراث بيروت.
- 08- أحمج بن محمد مسكويه. (2000). تجارب الأمم وتعاقب الهمم (ط 2). ((تج) أبو القاسم إمامي، المترجمون) طهران: دار ساروش.
- 09- أحمد خليل جمعة. (2001). نساء من الأندلس (ط 1). بيروت، لبنان: دار اليمامة للطباعة والنشر.
- 10- أحمد نكري. (2000). جامع العلوم في إصطلاحات الفنون (ط 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 11- إسماعيل ابن كثير. (1986). البداية والنهاية. بيروت: دار الفكر.
- 12- المعتمد بن عباد. (2000). ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية (ط 3). ((تج) حامد عبد الحميد واحمد أحمد بدوي، المترجمون) القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- 13- جار الله الزمخشري. (1998). أساس البلاغة (ط 1). ((تج) محمد باسل العيون السود، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

- 14- جبور عبد النور. (1947). الجواري. دار المعارف للطباعة والنشر.
- 15- جلال الدين السيوطي. (2014). المستظرف من احبار الجواري (ط 1). القاهرة، مصر: دار نوايغ الفكر.
- 16- زينب محمد حامد. (1 مارس، 2019). اوضاع العبيد المعتقين في العصر الوسيط بالغرب الاسلامي. مجلة البحوث التاريخية ، صفحة 11.
- 17- سلاف فيض الله حسن. (2013). دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية (ط 1). دمشق، سوريا: صفحات للدراسات والنشر.
- 18- سليمان بن حمد العودة. كيف دخل التتر بلاد المسلمين (ط 3). الرياض: دار طيبة للنشر.
- 19- شهاب الدين محمد المقرئ. (1997). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (ط 1). (تح) إحسان عباس، المترجمون) بيروت: دار صادر.
- 20- عبد الرحمان بن خلدون. (1988). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (ط 2). (تح) خليل شحادة، المترجمون) بيروت: دار الفكر.
- 21- عبد الفتاح الصعيدي و حسين يوسف موسى. (1929). الغفصاح في فقه اللغة (ط 1). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- 22- مالك بن انس. (1994). المدونة (ط 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 23- محمد بن احمد القرشي. (1976). القرية في معالم الحسبة (ط 1). (تح) محمد محمود شعبان و صديق احمد عيسى المطيغي، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 24- محمد بن إسماعيل البخاري. (2001). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (ط 1). (تح) محمد زهير بن ناصر الناصر، المترجمون) بيروت: دار طوق النجاة.
- 25- محمد بن فتوح الحميدي. (1966). جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر.
- 26- محمود احمد الحنفي. (1951). الموسيقى العربية واعلامها من الجاهلة إلى . القاهرة: مطبوع قديم في الجامعة الامركية بمصر.
- 27- مصطفى جواد. (1950). سيدات البلاط العباسي (ط 1). بيروت: دار الكشاف للطباعة والنشر.
- 28- يحي وهيب الجبوري. (2010). النساء الحاكمات من الجواري والملكات (ط 1). عمان، الأردن: دار مجدلاوي.